

المنافقون جعلوا شغلهم الشاغل أن يلمزوا المطوعين من المؤمنين في الصدقات

إيصال المساعدات لمستحقيها من أفضل وأنفع أنواع الجهاد

في الكويت مائدة عامرة بما لذ وطاب من ألوان العمل الخيري، فهناك 150 لجنة تابعة لعشر جمعيات خيرية إضافة لسبعين مبرة خيرية من بينها الهيئة الخيرية الإسلامية العالية وجمعية العون المباشر و جمعية التعريف بالإسلام وجمعية إعانة المرضى وجمعية التكافل الاجتماعي ومبرات مثل الأال والأصحاب وغيرها. جمعيات واناس يجاهدون باموالهم واولقاتهم في سبيل الله عز وجل لإيصال المساعدات الي محتاجيها وهو جهاد الوقت الذي امر الله به في الوقت الذي لا نستطيع فيه الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال من افضل وأنفع انواع الجهاد ولو كان بالقليل. ولا يضر الانسان ان يجاهد بالقليل من المال او الكثير منه لان الله سبحانه وتعالى هو من يقبل قليل المال وكثيره ورب درهم سبق مئة الف درهم، بأخلاص صاحبه وقبول الله لعمله.

وقوله تعالى «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم»، آية كريمة مباركة من سورة التوبة، السورة التي سماها الصحابة «الفاضة... فهي التي فضحت المنافقين، وهتكت أسرارهم، وكشفت أسرارهم.. ولأجل ذلك قال عنها الإمام القرطبي: في السورة كشف أسرار المنافقين، وتسمى الفاضحة والبحوث لأنها تبحث عن أسرار المنافقين. وقال التابعي الجليل سعيد بن جببر: سألت ابن عباس عن سورة براءة - أي التوبة - سميت بذلك لأنها بدأت بقول الله تعالى: «براءة من الله ورسوله» فقال: تلك الفاضحة، وما زال يترنل ومنهم، ومنهم حتى قلنا أن لا تدع أحدا.

وتتحدث الآية عن فريق من المنافقين، وهم أولئك الذين جعلوا شغلهم الشاغل أن يلمزوا المطوعين بالصدقات من المؤمنين، فقاموا يغيبون أهل التطوع بالصدقات، الكثير منها والقليل، يرمون بالعبث أهل الصدقة بالمال الكثير وكذا الفقراء الذين توجد أنفسهم بالشيء القليل، وهم لا يجدون إلا جهدهم أي طاقاتهم.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن مسعود قال: لما امرنا بالصدقة كنا نتحالم.. فجاء أبو عجيل بنصف صاع وجاء إنسان باكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا إلا رياء. فنزلت: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم»، فلم يسلم من السنة

■ تسويغ منع

التصدق بالقليل

يفضي إلى أن

المفسدين ينكرون

على أهل الخير إذا

رأوا من يظهر أمراً

مشروعاً مسنوناً

■ المخذلون نموذج

لضعف الهمة

وطراوة الإرادة

والمؤثرين للراحة

الرخيصة على

الكدح الكريم

المنافقين احد ؛ فالذي مابرح يكد ويتعب ويحمل على ظهره طيلة يومه.. ثم عاد منكبا يجود بنصف صاع هو غاية جهده وطاقته، لم يسلم من ألسنتهم، بل قالوا في حقه إن الله لغني عن صدقة هذا، ولما جاء بعض الصحابة باكثر من ذلك فجاء عبد الرحمن بن عوف بثمانية آلاف درهم.. وقيل بل تصدق باربعمائة أوقية من ذهب.. وقيل بل تصدق بسبعمائة بعير، لما جاء بذلك عبد الرحمن بن عوف قال المنافقون إنما فعل ذلك رياء فذمهم الله تعالى لسوء صنيعهم وسخريتهم من المؤمنين، وصدهم عن سبيل الله تعالى وكراهيتهم للخير وحسداه المؤمنين المسارعين في الخيرات.. وعاقبهم المولى تعالى من جنس عملهم فجازاهم على سخريتهم من أوليائه بأن سخر الله منهم وتوعدهم فوق ذلك في الدار الآخرة بعذاب اليم.

إنه عقاب المولى تبارك وتعالى لكل من صد عن سبيل الخير والهدي وموانئته بالحرب لكل من أتى أوليائه ورماهم باللبن والسخرية وصدق المولى تبارك وتعالى حين قال: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يحب كل مختال فخور».

إن هؤلاء المخذلون لهم نموذج لضعف الهمة، وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز. وهم يتساقطون إعباء خلف الصفوف الجادة الزاحقة العارفة بتكاليف الدعوات، ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك، لأنها تترك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه الذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال.

والنصنص الكريم يرد عليهم بالتهكم المطوي على الحقيقة: «فليضحكوا قليلا ولينبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (82) فَإِنْ رَجَعَكِ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83) وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقْعُ عَلَى قَبْرِ أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ» (84) وأنه لضحك في هذه الأرض وأيامها المعودة، وإنه لبكاء في

أيام الآخرة الطويلة. وإن يوماً عند ربك كالف سنة مما يعدون. «جزاء بما كانوا يكسبون».. فهو الجزاء من جنس العمل، وهو الجزاء العادل الدقيق: هؤلاء الذين أتروا الراحة على الجهد – في ساعة العسرة – وتخلفوا عن الرياء في أول مرة. هؤلاء لا يصلحون لكفاح، ولا يرجون لجهاد، ولا يجوز أن يؤخذوا بالسماحة والتغاضي، ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد الذي تخلوا عنه راضين: «فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الخالفين»..

إن الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفاح الطويل الشاق. والصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنهم يخذلونه في ساعة الشدة فيشبعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب. فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيدا عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة. والتسامح مع الذين ماتوا وهم فاسقون» (84) وأنه لضحك في هذه الأرض وأيامها المعودة، وإنه لبكاء في

الرخاء، جنابة على الصف كله، وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها فكاحه الربيع. ومن نهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء فتهيه مردود عليه من وجوه: أحداه: إن الأعمال المشروعة لا ينهي عنها خوفا من الرياء بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها ونحن إذا راينا من يفعلها أقررناه

وإن جزمنا أنه يفعلها رياء فالمنافقون الذين قال الله فيهم: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا» فهوَلاء كان النبي والمسلمون يقرنونهم على ما يظهرونه من الدين وإن كانوا مرأتين لا يبنوهن هذا وإن الظاهر لأن الفساد في ترك إظهار المشروع اعظم من الفساد في إظهاره رياء كما أن فساد ترك إظهار الإيمان والسلوات اعظم من الفساد في إظهار ذلك رياء ولأن الإنكار إنما يقع على الفساد في إظهار ذلك رياء الناس.

الثاني: لأن الإنكار إنما يقع على

خيرا أجبناه والبناء عليه وإن كانت سريرته بخلاف ذلك ومن أظهر لنا شرا أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة. الثالث: أن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير والدين إذا راوا من يظهر أمرا مشروعا مسنونا قالوا: هذا مرءا فبترك أهل الصدق والإخلاص إظهار الأمور المشروعة حذرا من لمزهم

والمهم فيتعطل الخير ويبقى لأهل الشرك شوكة يظهرون الشر ولا أحد ينكر عليهم وهذا من اعظم المفاسد. الرابع: إن مثل هذا من شعائر المنافقين وهو يعطن على من يظهر الأعمال المشروعة قال الله تعالى: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم» فإن النبي -صلى الله عليه وسلم – لما حض على الإنفاق عام تبوك جاء بعض الصحابة بصرة كادت يده تعجز عن حملها فقالوا: هذا مرءا وجاء بعضهم بصاع فقالوا: لقد كان الله غنيا عن صاع فلان فلمزوا هذا وهذا فانزل الله ذلك وصار عبرة فيمن يلزم المؤمنين المطيعين لله ورسوله.

مواقف من السيرة

النبي - صلى الله عليه وسلم-

ذاق مرارة فقد الأبناء كما فقد

الآباء من قبل

نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذاق مرارة فقد الأبناء، كما ذاق من قبل مرارة فقد الأبوين، وقد شاء الله –وله الحكمة البالغة– ألا يعيش له صلى الله عليه وسلم أحد من الذكور حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وادعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تمجيلا لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ونحلا ينتقص النبي في كمال رجولته شائئ، أو يتقول عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضا ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وكان الله أراد للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرقة الحزينة جزءا من كيانه: فإن الرجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين ومداواة الجرحوحين.

يتضح للمسلم من خلال قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتما بذلك بكيفية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنا، أو بمن لا تفوقه في العمر، وإنما رغب فيها النبي صلى الله عليه وسلم لشرافها ومكانتها في قومها، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

وفي زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة ما يلجم السنة وأقلام الحاقدين على الإسلام وقوة سلطانه من المستشرقين وعبيدهم العلمانيين الذين ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي صلى الله عليه وسلم مقتلا يصاب منه الإسلام، وصوروا النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذاته وشهواته، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في سن الشيوخ، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما، وقد ناهز النبي عليه الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفكر في هذه الفترة بأن يضم إلى خديجة مثلها من النساء: زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع

وبثانه. أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم ورفعة شأنه وكمال أخلاقه.

اشترائه في بناء الكعبة

لما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لما أصابها من حريق وسيل جارف صدع جدرانها، وكانت لا تزال كما بنما إبراهيم عليه السلام رضمها فوق القامة فارادوا هدمها ليرفعوها ويسقفوها، ولكنهم هابوا هدمها، وخافوا منه، فقال الوليد بن المغيرة أنا أبؤكم في هدمها، فاخذ المولع، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نزغ، ولا نريد إلا الخير.

وهدم من ناحية الركنين: فترىص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا، فاصبح الوليد غاديا يهدم، وهمد الناس معه حتى انتهوا إلى حجارة خضرة كالأسنمة أخذ بعضها ببعض.

وكانوا قد جزءوا العمل وخصوا كل قبيلة بناحية، واشترك سادة قريش وشيوخها في نقل الحجارة ورفعها، وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس في بناء الكعبة وكاء بتقلان الحجارة، فقال رقيبك يقيك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: «إزاري إزاري» فشد عليه إزاره فلما بلغوا موضع الحجر الأسود اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، لولا أن أبا أمية بن المغيرة قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك دخل محمد صلى الله عليه وسلم فلما أروء قالوا: هذا الأمين، قد رضينا فلما أخبروه الخبر قال: «هلموا قويا»، فأتوه به فوضع الحجر فيه بيديه ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم أرفعوا جميعا» فرفعوه، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه.

وأصبح ارتفاع الكعبة ثمانية عشر ذراعا، ورفع بابها عن الأرض بحيث يصعد إليه بدرج، ثملا يدخل إليها كل أحد، فيدخلوا من شاءوا، وليمينعوا الماء من التسرب إلى جوفها، وأسند سقفها إلى ستة أعمدة من الخشب، إلا أن قريشا قصرت بها النفقة الطبية عن إتمام البناء على قواعد إسماعيل، فأخرجوا منها الحجر، وبنوا عليه جدارا قصيرا دلالة على أنه منها، لأنهم شرطوا على أنفسهم ألا يدخل في بنائها إلا نفقة طبية، ولا يدخلها مهر بغي، ولا يبيع ربا، ولا مظلمة لأحد.

يعد هذا المسكين غنيا؟ والمتدين الذي يباشر بعض العبادات. ويبقى بعدها بإدي الشر. كالج الوجه. قريب العدوان كيف بحسب امرءا وتقيا؟ وقد روي أن النبي ضرب لهذه الحالات مثلا قريبا. قال: «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد. والخلق السيئ يفسد العقل كما يفسد الخل العسل». فإذا نمت الرذائل في النفس.

وفشا ضررها. وتفاقم خطرها. انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه. وأصبح ادعاؤه للإيمان زورا. فما قيمة دين بلا خلق؟؟ وما معنى الإفساد مع الانتساب لله؟؟! وتقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم. يقول النبي الكريم: «ثلاث من كن فيه فهو منافق. وإن صام وصلى وحج واعتمر. وقال إني مسلم: إذا حدث كذب. وإذا زعم أخف. وإذا أؤتمن خان». وقال في رواية أخرى: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا عاهد غدر. وإن صلى وصام وذكر الله: من الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان. وإذا حدث كذب. وإذا عاهد غدر. وإذا خاصم فجر».

■ الصدقة عباداة اجتماعية يتعدى نفعها إلى الغير

والشريعة لم تفترض التقلل منها

ونبالة المقصد. والحكم على مقدار الفضل وروعة السلوك يرجع إلى مسار لا يخطئ. وهو الخلق العالي! وفي هذا ورد عن النبي أن رجلا قال له: يا رسول الله. إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقته غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. فقال: «هي في النار». قال: يا رسول الله فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها. وأنها تتصدق «بالأنوار من الأقط» بالقطع من العجين ولا تؤذي جيرانها. قال: «هي في الجنة»!. في هذه الإجابة تقدير لقيمة الخلق العالي وفيها كذلك تنويه بأن الصدقة عبادة اجتماعية. يتعدى نفعها إلى الغير. ولذلك لم يفترض التقلل منها كما افترض التقلل من الصلاة والصيام. وهي عبادات شخصية في ظاهرها.

إن رسول الإسلام لم يكتف بإجابة على سؤال عارض. في الإبانة عن ارتباط الخلق بالإيمان

الإسلام هدفه غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها

النبي صلى الله عليه وسلم ربط الخلق بالإيمان والعبادة وجعله أساس الصلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

«الحياء والإيمان قرئاء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»، والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء، بحكم الدين عليه حكما قاسيا. فيقول فيه وتجد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو. ومجانبة الثفرثرة والهنر يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

وهكذا يضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها. معتمدا على صدق الإيمان وكماله.. على أن بعض المنتسبين إلى الدين. قد يستسهلون أداء العبادات المطلوبة ويظهرون في المجتمع العام بالحرص على إقامتها وهم في الوقت نفسه يرتكبون أفعالا ياباها الخلق الكريم والإيمان الحق.. إن نبي الإسلام تودع هؤلاء الخاطئين. وحذر أمته منهم. ذلك أن التقليد في أشكال العبادات يستطيعه من لم يشرع روحها. أو يرتفع مستواها ربما قدر بطول على محاكاة أفعال الصلاة وترديد كلماتها.. ربما تمكن الممثل من إظهار الخضوع وتصنع أهم المناسك.. كن هذا وذاك لا يغنيان شيئا عن سلامة اليقين.